

مجلة العاصمة

مجلة بحثية سنوية محكمة
المجلد العاشر، ٢٠١٨ م

معامل التأثير العربي: 2.165

ISSN (Print) : 2277-9914

e-ISSN (Online) : 2321-2756



قسم اللغة العربية، كلية الجامعة
ترونتبرم - ٦٩٥.٣٤، كيرالا، الهند

ظاهرة الاقتراض بين اللغات: اقتراض يوربا من العربية نموذجا

د/ عبد الرشيد محمود مقدم، د/ علي عبد الواحد أديبسي

محاضران، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا

توطئة

ومن أكثر لغاتٍ اقتراضا لبعض مفرداتها من العربية لغة يوربا، التي هي إحدى ثلاث لغاتٍ محلّية مشهورة في نيجيريا؛ وهي لغة أهل جنوبها الغربي التي يبلغ عدد الناطقين بها في الداخل وخارجها من توغو، وساحل العاج وبنين- وغانا، وأروبا، والأمريكية الشمالية أربعين (٤٠٠٠٠٠٠) مليون نسمة؛ وتقترض يوربا من العربية بعد أن عرفت العربية سبيل توغلها إلى نيجيريا عبر قناة دينية؛ حيث كان التجار العرب المسلمون يحملون إليها بضائعهم وسلعهم للتسويق، فحصل الاحتكاك الذي اشترط أساسيا في حدوث الاقتراض بين اللغة المانحة واللغة المتلقية^(١). وأصبحت كلمات عربية جديدة تدخل في اللغات المحلية وخاصة في لغة الهوسا التي كانت ولا تزال اللغة التجارية السائدة في غربي إفريقيا؛ دخلت فيها مثلا أسماء بعض البضائع المستوردة من البلاد العربية والتي لم تكن معروفة عند أهلها قبل ذلك. دخلت الكلمات العربية في بعض اللغات المحلية النيجيرية مثل: هوسا، وفلاته، ويوربا، فعلى هذه الدربة اللغوية المتواصلة تداخلت اللغتان، فطغت اللغة المانحة على اللغة المتلقية في بعض ألفاظ مفرداتها وبعض اصطلاحاتها اللغوية؛ فأدت هذه الظاهرة إلى الاتحاد التام بين اللغتين في كثير من مفردات الكلمات العربية التي إذا تُرجمت إلى يوربا تبقى كما هي في العربية^(٢).

١ - مفهوم الاقتراض اللغوي

إن اللغة تعدّ وسيلة الاتصال التي يستخدمها الإنسان في قضاء حاجاته وحل مشكلاته، والاتصال بالأفراد والجماعات ويستخدمها فيما يتصل بتنظيم نواحي نشاطه الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ولا تحلو الحياة لأية لغة من اللغات إذا لم تخرج من منطقتها فيكون شيوعها ومعرفتها في تنقل أهلها من مكان إلى آخر حسب الاحتياجات البشرية؛ ولهذا يعدّ نزوح عناصر أجنبية إلى البلد تنطق بلغة غير لغة أهله وتجاور الشعبين مختلفي اللغة فيتبادلا المنافع ويتاح لأفرادهما فرص الاحتكاك المادي والثقافي أهم العوامل التي ينشأ عنها الاحتكاك أو الصراع، فتحصل ظاهرة الأخذ والعطاء، أخذ الألفاظ وعطائها، أو ما تسعى ظاهرة التبادل اللغوي التي هي أبرز ظواهر التأثير والتأثر بين اللغات^(٣). الاقتراض في اصطلاح علماء اللغة هو إدخال أو استعارة ألفاظ أو غيرها من لغة إلى لغة أخرى. وقد استعمل أهل اللغات ألفاظا معينة لهذه الظاهرة منها لفظ الاقتراض Borrowing والنقل والاستعارة Emprunt والإدخال Innovation كما أطلقوا على الألفاظ المقترضة

^١ اللغة والثقافة في أفريقيا؛ عبارة عن أعمال المؤتمر الدولي الثاني الذي نظمه قسم اللغات وأقيم بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، بتاريخ ١٣-١٤ فبراير، ٢٠٠٨ م. ص ٤٤٣

^٢ الإلوري، آدم عبد الله (الشيخ)، أصل قبائل يوربا والقبائل المجاورة في نيجيريا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ٢٠١٢ م. ص ١٢٦

^٣ الكازوري، عبد المنعم، التعريب في ضوء علم اللغة المعاصر، ط ١، دار جامعة الخرطوم، ١٩٨٨ م. ص ٩

التي أضافوها إلى لغتهم Loan words غير أن العرب يطلقون على عملية نقل الألفاظ واستعارتها لفظ التعريب وعلى الألفاظ المقترضة الألفاظ المعربة^(١). وجاء تعريفه في معجم المصطلحات العلمية أنه إدخال عناصر من لغة ما إلى لغة أخرى أو من لهجة إلى لهجة أخرى سواء كانت تلك العناصر كلمات أو أصواتا أو صيغا. ويعرف هوجن Haugen بأنه محاولة نسخ صورة مماثلة لنمط لغوي لإحدى اللغات تعلم سابقا لغة أخرى، أو هو العملية التي تأخذ فيها إحدى اللغات بعض العناصر اللغوية للغة أخرى؛ غير أن محمد علي الخولي قد فرق بين التدخيل اللغوي والاقتراض اللغوي عند استعمالها حيث قال بأن الأول هو تدخّل لغة ما في لغة أخرى عند الفرد الذي يعرف كلتا اللغتين، وأما الثاني فهو استعمال المتكلم بلغة ما كلمة من لغة أخرى؛ وبهذا التفريق نفهم أن الأول له اعتبار المتكلم الفردي بينما كان الثاني باعتبار العامة الناطقين باللغة المقترضة فتثري مفرداتها وتكسب اللغة المانحة شيوعا وشهرة مما يجعل أن يعد الاقتراض اللغوي أحد مظاهر ثرائية اللغة.

٢- ثرائية اللغة العربية ومظاهرها

ومن المعيار الذي تنبني عليه ثرائية اللغة العربية ظاهرة الترادف اللغوي وإن كانت هذه الظاهرة موجودة في كل اللغات، فإنها قد بلغت شأنًا عظيمًا في اللغة العربية، كما تعدّ أحد مفاخرها ودليل سعتها وغناها، ومن أكبر شاهد لهذه الحقيقة ما قاله الأصمعيّ مفتخرًا أنه يحفظ للحجر سبعين اسما، كما افتخر ابن خالويه في مجلس سيف الدولة بأنه يعرف للسيف خمسين اسما^(٢)؛ هذا، بإغضاء النظر عن الخلاف الحاصل في هذه الظاهرة؛ حيث يوجد لها الاتجاهان المتباينان من التأييد والمعارضة؛ فمن معارضيها ابن الأعرابي الذي كان ينكر هذه الظاهرة قائلاً "كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، في كل منهما معنى ليس في صاحبه"^(٣). وممن لفّ لفه ابن فارس حيث ينكر الترادف من خلال تفريقه بين الأسماء ويقول: "المائدة" لا يقال لها مائدة حتى يكون عليها طعام. "والكأس" لا تكون كأسا حتى يكون فيها شراب، وإلا فالأولى "خوان" والثانية "قدح" أو "كوب"^(٤). ويفسر هذه الظاهرة بعض مؤيدي ظاهرة الترادف أن اللفظتين إما أن تكونا متساويتين في المعنى ولكنّ العرب قد تركوا ذلك للحاجة إليه في أوزان شعرهم وسعة تصرفهم في أقوالهم... وكلما كثرت الألفاظ للدلالة على المعنى الواحد، فإن هذا يعني أن هذه الألفاظ هي استعمالات لجماعات أو قبائل مختلفة، لكنّ هذه الألفاظ اجتمعت لإنسان واحد من هنا وهناك. فهذه الرؤية نجدها أنها دائمة الحدوث في المجتمع القبليّ الذي كان ينتقل من مكان إلى مكان سعيا وراء الماء والمراعي. فالتقاء القبائل يحقّق التبادل اللغويّ، وهذا هو أهمّ أسباب الترادف. والحقيقة أن هذه الظاهرة مازالت موجودة حتى يومنا هذا. فهناك مسمّيات كثيرة يطلق عليها أسماء مختلفة في معظم الأقطار العربية، رغم التقدّم في وسائل الإعلام والاتّصال.

فمن البديهي أن تكون اللغة العربية لغة تتغيّر فيها الدلالات بتغيّر بنية الكلمات. فكلّمة "علم" يمكن أن يكون مصدرا، وفعلًا ماضيًا، وفعلًا مضارعًا، وأمرًا، وأن تدلّ على الرؤية، أو تضاف إلى اسم بعدها لتدلّ على اسم لمادّة خاصّة مثل: "علم الحساب"... إلى آخره، ويشتقّ منها أوزان جديدة، كاسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغة المبالغة، واسم الزمان والمكان واسم التفضيل... وهكذا... يبرز مع كل تغيير جديد في الكلمة معنى جديدًا. فإن مرونة العربية وطواعية ألفاظها تتمثّل في الدلالة على المعاني أكثر ما تتمثّل في ظاهرة الاشتقاق من المصادر ومن

^١ محمد عفيف الدين، محاضرة في علم اللغة الاجتماعية، سوريابا، دار العلوم اللغوية، ٢٠١٠م. ص ١٨٤

^٢ الشلقاني، عبد الحميد، مصادر اللغة، الرياض، عمادة شئون المكتبات بجامعة الملك سعود، ١٩٨٠م. ص ٢٢٦ - ٢٢٨

^٣ ابن الأنباري؛ نقلا من فقه اللسان العربي، المرجع نفسه ص ٢٢٧

^٤ ابن فارس نقلا من فقه اللسان العربي، المرجع نفسه، ص ٢٢٧

الأفعال وبناء الكلمات الجديدة من الجذور. وتعبّر هذه الظاهرة عن ثراء اللغة وأتساعها للتعبير عن مختلف المطالب والحاجات. ومن الظواهر التي تبدو في أزيائها ثرائية اللغة العربية ظاهرة التعريب (الاقتراض) التي هي عبارة عن صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة؛ وهذه الظاهرة تعدّ من وسائل خارجية محضّة استعانت بها العربية، لا تتبع من صميمها، ولكنها تزوّدها بما يبعث حيويّتها، ويوسّع آفاقها، وقد كان لهذه الوسيلة آثار واسعة المدى في زيادة الثروة اللفظيّة في العربيّة، وأعانها على استيعاب حضارات عميقة، وعلوم ومعارف متنوّعة، وثقافات شتّى لم يعرفوها.

٣- دوافع الاقتراض اللغويّ

إن ظاهرة الاقتراض اللغويّ ليست نتيجة-بالاطراد-عن الضعف أو الفتور الحاصل في لغة ما؛ فيكون في موجب ذلك أن تتقوى تلك اللغة الضعيفة بالاقتراض من غيرها لسدّ ثغرها وإثراء مفرداتها؛ كما ذهب إليه بعض الباحثين حيث قوله بأن بعض اللغات تستعين بألفاظ البعض الآخر وأساليبه في سدّ حاجاته من المفردات والتعبيرات التي تعوزها والتي تصبح فيما بعد جزء من تلك اللغات، ولا غرو في أن هذا الدافع هو السبب الشائع في كل اقتراض لغويّ وهو أمر ينطبق على اللغات جميعا في أغلب الحالات^(١)؛ ومن دوافع الاقتراض ما يلي:

- الإضافة للألفاظ دلالات جديدة تتلون بتلون العصور واختلاف المجتمعات والثقافات فتتحقق الغاية المنشودة في أن اللغة أداة للتبادل الاجتماعي والتلاقي الثقافي بين الحضارات، فلا نستغرب -بعيدا- أن نجد لغة ما تقترض لفظة من لغة أخرى وتدخل في نسيجها البنيويّ والسياقي بعد أن تنصهر في قالب التركيبي والصرفي للغة الوافدة إليها كما نجد ذلك في شأن اقتراض كثير اللغات المحليّة في نيجيريا بعض ألفاظها من العربية التي أثرت فيها تأثيرا كبيرا مع كونها تعدّ بهذا التأثير من قبيل تأثير الطبقة الدنيا حسب تقسيم علماء اللغة لأنماط التأثيرات التي تحدثها بعض اللغات في بعضها الآخر؛ فهذه الأنماط الثلاثة هي: تأثيرات من الطبقة الدنيا Substratum، وتأثيرات من الطبقة الوسطى Ad stratum، وتأثيرات من الطبقة العليا Super stratum؛ فأما الأولى يقصد بها ذلك التأثير الذي يحدثه اللغة غير السائدة سياسيا أو ثقافيا على اللغة السائدة في المنطقة، وهو ليس له دائما أثر على معجم اللغة المقترضة. وأما بالثانية فهي الوضع الذي تكون فيه لغتان في حالة احتكاك، ولا تتميز أي منهما بسيادة ثقافية أو سياسية؛ وأما الثالثة يقصد بها تأثير اللغة السائدة سياسيا وثقافيا على اللغة الأخرى أو اللغات في نفس المنطقة.
- ميل أصحاب اللغة المقترضة إلى الترف التعبيري والتفاخر بلغة أخرى ويظهر هذا في بعض اللغات التي اقتترضت بعض مفرداتها من العربية أنها قد نجد لها ألفاظها الخاصة لهذه المفردات ولكن تفضّل أن تطلق عليها ألفاظا عربية تفاخرها بلغة دينها مثلا في إطلاق يوربا لفظ "جماعة" Jamah الذي هو عربي الأصل مع أن لها لفظا يعني هذه المفردة في لغتها الخاصة وهو "Ijoo" وإطلاقها لفظ الرزق Arisiki على Ooro الذي هو لغتها الخاصة.
- سرّ حاجة اللغة المقترضة إلى توفير مفهوم معاني المفردات؛ فهذا الدافع عام في جميع اللغات المقترضة من غيرها؛ لأنها لا تعدم في لسانها ما تطلق على مفرداتها ومسمياتها ولكنها ترى من توسعة لغوية أن تقتض ألفاظا أخرى تطلق على هذه المفردات في لغة أخرى مجاورة لها لتوفّر مفهوم معاني المفردات؛ ونجد مثل هذا في توفير يوربا مفهوم معنى وقت معيّن عند غروب الشمس أو بعده Irolee فتطلق عليه لفظا آخر مقترضا من العربية

^١ محمد عفيف الدين، ص ١٩٠

وهو الآصال Asale؛ فلغة يوربا في هذه الألفاظ العربية المقترضة تحاول بإطلاقها على هذه المفردات لتوفير مفهوم معانيها ليست أنها بحاجة إلى هذه الألفاظ لسدّ حاجة ما يعوزها من معاني هذه المفردات.

- سدّ حاجة اللغة المقترضة إلى مصطلحات معيّنة قد لم تألف بها لغة ما ولم يكن لها عهد بها من قبل فأصدق مثال على هذا المصطلحات الدينية التي أخذتها يوربا من العربية؛ لأنها دخلت إليها عن طريق الإسلام؛ حيث كان أهل ما يطلق عليه اليوم نيجيريا لم يدينوا بهذا الدين قبل مجيء العرب المسلمين إليهم لمهمة تجارية -كما أسلفنا- وعلى أيدي هؤلاء التجار العرب شرح الله صدرهم للإسلام فاعتنقوه ديناً وأخذوا بعض مصطلحاتهم الدينية التي لا عهد لهم بها في لغاتهم مثل: الركوع Rukuu، السجود Sujud، الكفارة Kafara، الزكاة Zaka، والحج Hajji، والدعاء Adua؛ فتلك المصطلحات الدينية أخذتها يوربا من العربية ولا عهد لها بها قبل دخول الإسلام وهي تستعملها في لغتها على سبيل الاقتراض.

٤- طرق الاقتراض اللغوي

إن الاقتراض اللغوي يأخذ أشكالاً متنوعة في أخذ بعض اللغات ألفاظاً معيّنة عن غيرها، وقد تحتفظ اللغة الأخذة عند النطق بالألفاظ مقترضة حسب ما هي في اللغة المانحة، وقد تسرب إليها بعض التغيرات التي تجعل صورتها النطقية مخالفة لها؛ ومن هنا نجد أن هناك طرقاً عدة تلجأ إليها لغة ما عند ما تقوم باقتراض كلمة من لغة أخرى ولا يخرج عن نطاق هذه الطرق الأربعة؛ علّ بعض هذه الطرق لا يوجد في اقتراض يوربا بعض ألفاظها من العربية وهي كما يلي:-

(أ) اقتراض كامل: وهو أن تقتض لغة ما الكلمة كما هي في اللغة المانحة من دون أي تغيير أو تعديل أو ترجمة نجد لذلك أمثالا عدّة من الألفاظ المقترضة في لغة يوربا من العربية منها كلمة Adua التي اقتترضتها من كلمة "الدعاء" العربية، وكلمة Zakah من الزكاة؛ فهذه الألفاظ في حديثها لا نجد مخالفة بين النطق بها في المصدر والنطق بها في اللغة المقترضة فصورتها لدى المعطية مطابقة لصورتها لدى الأخذة فهي بذلك من قبيل الاقتراض الكامل.

(ب) اقتراض معدّل: فهذا النوع من الاقتراض هو الذي يخضع لبعض تعديلات أو تغييرات في اللغة المقترضة وتطلق عليها Indirect Borrowing ونجد لهذا القبيل من العربية بحيث كانت تقتض الكلمة وتعديل نطقها أو ميزانها الصرفي للتسهيل أو للاندماج^(١) مثلاً، كلمة "التلفاز" التي اقتترضتها العربية من الانجليزية Television، ففي هذا الصدد ذهب لغة يوربا عند اقتراضها لبعض الألفاظ العربية اتجاهات معيّنة في تعديلها وتغييرها فمنها:-

- ما هي تغيير حركة الألفاظ؛ وذلك بأن تغير حركة كلمة عربية إلى حركة أخرى عند النطق بها كما نجده في كلمة Tuba من التوبة، و Alarashi من العرش، و Alasari من العَصْر، و Asubah من الصبح وهكذا.
- وما هي التغيير فيها بالقلب أو الإسقاط الحرفي وقد فصلّ إلّوريّ الحديث عن هذا القبيل وبين ما تحرفت لام تعريفه واوا بسقوط حرف أو حرفين وسطاً وطرفاً وذلك في مثل: الله Olohun، والعيد Odun، والظهر Osan، والجبن Ojo، والماء Omi، والهبة Ebun، والضرة Inira، واللصّ Ole، والقلب Okan، والهوة Iho، والتالي Itele، والحمق Omugo، والقوة Ogoo. وما سقطت لام تعريفه مع سقوط حرف وسطاً أو آخراً ومن أمثاله Ina النار، و Alebu العيب، وهلم جرا؛ وبالنظرة الفاحصة إلى تلك الألفاظ نجد أن فيها بعض التعديلات

^١ الخولي، محمد علي (الدكتور)، الحياة مع لغتين (الثنائية اللغوية)، ط ١، جامعة الملك سعود الرياض، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م. ص ٩٨

الناجمة من قلب بعض حروفها وإسقاطها فجعل نشعر بتغيير طفيف في اللغة المقترضة وتخالف النطق في اللغة المانحة.

(ج) اقتراض مهجن : وهو أن تقتض الكلمة فيترجم جزء منها إلى اللغة المقترضة ويبقى الجزء الآخر كما هو في لغة المصدر كما نجد ذلك في بعض مقترضات العربية مثل : صرنيم المأخوذة من Phoneme وصرفيم المأخوذة من Morpheme حيث تمت ترجمة الجزء الأول من الكلمة من الانجليزية إلى العربية وبقي الجزء الثاني كما هو في الانجليزية^(١) . ونجد مثل هذه الحالة في يوربا في قولها Gbangba Waliha من الساحة الواضحة في العربية حيث ترجمت الجزء الأول منه إلى لغتها المحلية وهو "الساحة" بمعنى "Gbangba" وتركزت الجزء الآخر كما هو في النطق العربي "الواضحة" ؛ ولعل الاستهجان في مثل هذا الاقتراض في التعامل مع بعض هذه الكلمات بترجمة جزء منها إلى اللغة المقترضة وترك الجزء الثاني مستصحباً حاله في لغة المصدر.

(د) اقتراض مترجم : وهو أن تقتض الكلمة عن طريق ترجمتها من لغة المصدر إلى اللغة المقترضة أي ترجمة حرفية إلى كلمة وطنية، ومثال ذلك الكلمة الانجليزية Expression مأخوذة من الكلمة اللاتينية Expressio فهي لذلك كلمة مقترضة (٤١) ومن أمثلة ذلك في يوربا كلمة Eeni بمعنى الحصير، و Eyin`ju سود العين أو بنت العين.

٥- الألفاظ التي اقترضتها يوربا من العربية

توجد ألفاظ عديدة اقترضتها يوربا في لغتها من العربية وهي تنبئ عن أصالتها العربية مع ما قد تطرق إليها من التغيير والتعديل في بعضها، ونأتي في الجدول الآتي بعض ما هي مقترضة في ألفاظ يوربا من العربية :-

العربية	يوربا	العربية	يوربا
الدعاء	Adua	البصل	Alubosa
الزند	Isana	الماء	Omi
الفجر	Alifajari	العصر	Alasari
الصبح	Asuba	المغرب	Magribi
العشاء	Isa`i	الزكاة	Zakah
الحج	Hajji	التوبة	Ituba
الجمعة	Jimoh	الأحد	Alaadi
الحال قح	Alialikua	العافية	Alafia
الثلاثاء	Atalata	الأربعاء	Alaruba
الخميس	Alamisi	السبت	Asibi

^١ الإلوري، آدم عبد الله (الشيخ) ، ص ٩٦

Sanmo	السماء	Atinni	الاثنين
Alamori	الأمر	Baale	البعل
Musibah	المصيبة	Alaada	العادة
Fitinah	الفتنة	Alikali	القاضي
Ladani	المؤذن	Lemamu	الإمام
Sawurah	الشورى	Wakati	الوقت
Alarasi	العرش	Sadaki	الصدّاق
Arisiki	الرزق	Aanu	الحنون
Sunnah	السنة	Şeriah	الشريعة
Osa	الوثن	Musulumi	المسلم
Asale	الأصيل	Ojoro	الجور
Odun	العيد	Omugo	الحمق
Odii	الحدّ	Oore	الخير
Inira	الضرة	Ole	الللص
Ebun	الهبة	Iho	الهوة
Aleebu	العيب	Esaa	الخاصة
Ero	الرخوة	Eroo	العرير
Faari	الفخر	Aaro	الأعرج

الخاتمة

كانت لغة يوربا -شأن غيرها- من اللغات اقترضت بعض ألفاظها من العربية؛ وذلك نتيجة الاحتكاك الحاصل من مجاورتهما؛ حيث نزح العرب المسلمون إلى نيجيريا لأهمية التجارة وعرض سلعهم للبيع والتسويق؛ وعلى أيدي هؤلاء التجّار اعتنق أهل نيجيريا الاسلام وأخذوا عنهم لسانهم العربي من خلال التعامل والتعليم منهم، وفي هذه الحالة أثر بعض الألفاظ العربية في مفرداتهم اليوروبية-مثل تأثيرها في غيرها من اللغات النيجيرية المحلية من هوسا وفلاته والنوبة- فأصبحت تلك الألفاظ مقترضة في يوربا، فمنها ما هي مطابقة لأصالتها العربية وما قد طرأ عليه التعديل بتغيير بعض حروفها أو قلب مكانها أو الزيادة في بعضها؛ وهي-بمجموعها- تنبئ وتنم عن جذرها العربي لكونها مقترضة من العربية.